

# ذكرى وفاة ثلاثة من عمالقة العمل الإسلامي والداعية الأشهر والشيخ الرئيس (3-1)



الأحد 23 يونيو 2024 02:15 م

شعبان عبدالرحمن \*

في هذا الشهر (يونيو) اجتمعت ذكرى وفاة ثلاثة من عمالقة العمل الإسلامي والصورة الإسلامية الداعية الأشهر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي (15 أبريل 1911م - 17 يونيو 1998م).. والرئيس الشهيد محمد مرسي (8 أغسطس 1951 - 17 يونيو 2019)، أول رئيس مدني منتخب في تاريخ مصر الحديث ووزير ومؤسس حركة مجتمع السلم (حمس) في الجزائر الشيخ محفوظ نحاح (12 يناير 1942 - 20 يونيو 2003م) صاحب التجربة الإسلامية الفريدة في المغرب العربي والتي حظيت باحترام الجميع

وقد لقي هؤلاء جميعاً ربهم وهم ثابتون على طريق الدعوة إلى الله والعمل الوطني والجهاد لنصرة الإسلام وثبتت دعائمه، كل في مجاله وميدانه الذي أبدع فيه دعوة وحكما وتعليما وتنويرا للشعوب، وكفاحا ضد مخططات وحملات أعداء الإسلام التي لم تتوقف سعياً لهدم حصونه

فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي الغني عن التعريف بجهوده الكبيرة في خدمة الإسلام وابداعاته في تفسير آياته بطريقته الفريدة التي مازال مفعولها سارياً في قلوب من يتابعها في مشارق الأرض ومغاربها، وبما استخرجه من أحكام وقضايا فقهية وفكرية وقد أفحمت ردوده خلال تناوله للعديد من القضايا الشائكة خصوم الإسلام من الملحددين والعلمانيين والشيوعيين، كما أثارت تعليقاته القوية علي بعض المفكرين والكتاب عواصف وهجمات العلمانيين، ومنها -علي سبيل المثال- تعليقه علي ما جاء في مقال للأديب المعروف توفيق الحكيم بجريدة الأهرام، تحت عنوان "حديث مع الله".. يومها رفض الشيخ الشعراوي محتوى المقال وعنوانه، ووصف ما قاله الحكيم بـ "شيخوخة الفكر وطفولة العقيدة"، فهاج الإعلام المصري الذي يسيطر علي معظمه اليساريون والعلمانيون ضد الشيخ الشعراوي وجردوا عليه حملة استمرت لأسابيع وجهوا خلالها لفضيلته اتهامات هابطة وحادة وغير صحيحة

في تلك الآونة كنت في بداية عملي الصحفي بجريدة "النور" الإسلامية الصادرة عن حزب الأحرار المعارض والتي كان يرأس تحريرها الصديق المحترم الاستاذ مؤمن الهباء، وكانت هي الجريدة الوحيدة في مصر التي تتبنى القضايا الإسلامية بعد إغلاق مجلتي الدعوة والاعتصام

ولم تفكر صحيفة واحدة في مناقشة الشيخ الشعراوي فيما قال بحق الأستاذ توفيق الحكيم ولكن خيارهم الوحيد كان مهاجمة الشيخ وحدها صحيفة اللواء الإسلامي الأسبوعية الصادرة عن الحزب الوطني الحاكم برئاسة تحرير الكاتب الصحفي أحمد زين المقرب من الشيخ الشعراوي، كانت المتنفس الضعيف لفضيلته لإعلان رأيه وموقفه

ووسط هذه العاصفة الهوجاء التي أثارها الصحافة المسماة بالقومية ضد الشيخ الشعراوي انتصاراً لتوفيق الحكيم، فكرت -من تلقاء نفسي- في الذهاب إلى الشيخ في مقر إقامته المطال علي جامع الحسين بالقاهرة، والحصول منه علي ردوده علي ما ورد ضده في تلك الحملة الإعلامية وبالفعل ذهبت إلى الشيخ بعد سماح الأمن الموجود علي باب شقته، (بصفته وزيراً سابقاً)، وحصلت منه علي موعد لإجراء الحوار بعد سؤالي عن الموضوع والجريدة التي سأجري الحوار لحسابها

وفي الموعد المحدد حملت مسجلي واصطحبت زميلي منصور الجريدة، وذهبتنا للشيخ، وعند وصولي وفوجئت بوجود مجموعة كبيرة من أصدقائه وحواريه، وهم جميعاً شخصيات لها وزنها لكنها - فيما بدا لي- لا تعلم تقاليد الحوارات الصحفية، وكنت أظن انهم سيخلون بيني وبين الشيخ حتي أتمكن من محاورته والاستماع إلى ردوده باطمئنان، لكنهم استمروا في البقاء بأماكنهم، وعندما شرع أحد الحضور في تسجيل الحوار لفت انتباهه للتوقف لأن الحوار خاص بي ولا يحق لاحد آخر امتلاكه، عندها اشار الشيخ لي بإصرار علي ضرورة التسجيل: وقال

لي صراحة: "عشان لو نشرتم شيئاً مخالفاً يكون التسجيل معنا"، ساعتها شعرت أن هناك توجساً مني، وعندما بدأت في طرح أسئلتني بدأ الشيخ في إجاباته مشحوناً من الصحافة والصحفيين، وقد التمسث له العذر بسبب قسوة الحملة الظالمة كانت دائرة ضده في الصحافة القومية والتي فاقت حدود اللياقة □

وعندما تطرقت في أسئلتني إلى تفاصيل اتهامات الحملة الدائرة ضده، وكان هدفي الحصول منه علي ردود واضحة وقوية ونشرها للرأي العام الواقع تحت سطوة افتراءات تلك الحملة، لكن الحضور من أحباب الشيخ أفسدوا علي ما سعت إليه بتدخلاتهم المتشنجة حتي ظن الشيخ أنني مرسل من هؤلاء العلمانيين لمشاركتهم في حملتهم ضده .. ومع توالي أسئلتني ارتفعت حرارة الشيخ وازدادت حدة تدخلات الحضور ضدي حتى شعرت أنهم سيهجمون علي، فوضعت المسجل بين قدمي حفاظاً علي استكمال الحوار وتسجيل كل ما يقال لأنه يمثل انفراداً صحفياً في ذلك... وواصلت الحوار حتي نهايته، وعندما هممت بالانصراف فوجئت بأن المصور فص ملح وداب .. لقد فر صديقي هارباً ، ولما قابلته في اليوم التالي لمراجعة الصور، سألته عن سبب انصرافه، فرد مبتسماً: لقد " نفذت بجلدي من علقه ساخنة " ! وتسائل: كيف طاوعك قبلك علي الاستمرار حتى النهاية ؟!

وعندما هممت بجمع أوراقني للانصراف، طلب مني بعض الحضور -وهم أساتذة كبار- يتحمل ماجري لأن الشيخ يمر بظروف صحية، وأشار الشيخ بهز رأسه مؤمناً علي كلامه، فكررت علي الشيخ -يرحمه الله- القول بأنني جئت لمحاورته حبا له، ومن تلقاء نفسي ودون علم الجريدة التي طلبت الحوار لحسابها .. جئت بنية الدفاع عن فضيلتك ... لكنكم ظننتم بي سوءاً وأذيتوموني، فكرر الشيخ -يرحمه الله- ومن معه تطيبب خاطرني □

وعندما خرجت إلى الشارع أخذت أفكر وأنا في طريق العودة: هل أروي في مقدمة الحوار ما جرى، فأزيد الطين بلة وأصب الزيت علي نار الحملة على الشيخ ، فأكون بذلك مساهماً في تشويهه .. أم ماذا افعل؟ ...وبعد تفكير طويل قررت في اليوم التالي التركيز علي الوجه المشرق فيما جرى من حفاوة الاستقبال في البداية، والتغاضي عن بقية المشهد □

وتم نشر الحوار بعنوان رئيسي في الصفحة الأولى: "الشيخ الشعراوي للنور" إذا مكنتني الله من أذن الرئيس مبارك سأطالبه بتطبيق الشريعة الإسلامية". ويبدو أن الشيخ عندما أطلع علي الحوار بعد النشر فوجئ بأنني لم أشرفيه بكلمة واحدة لما جرى معي، بل بالعكس وجد اطراءً وشكراً لكرم استقباله □  
وفوجئنا بعد نشر الحوار بدعوة من الشيخ للجريدة بكامل فريقها علي الغداء، وبعد الغداء قام بصحبتنا بزيارة مقر الجريدة، حيث جري حوار موسع امتد لأكثر من ساعة بدا فيه الشيخ أكثر انفتاحاً □

ذلك موقف مازال محفوراً في ذاكرتي وكنت يومها في بدايات عملي الصحفي في أوائل ثمانينيات القرن الماضي، ومع مرور الأيام وثناء التجربة تأكد لي أن رواد العمل الإسلامي في كل مكان - وليس مصر وحدها- خاصة الذين تلتف حولهم الجماهير وتتزاحم علي محاضراتهم ودروسهم وخطبهم ومناظراتهم ومؤلفاتهم يواجهون حرباً صامتة من تلك النظم القمعية، وحملات تشويه وافتراء متواصلة من التيار اليساري والعلماني والمتصهين الذي يتسيد معظم منصات الإعلام، يقعون تحت ضغط نفسي كبير دون أن يصرحوا بما يتعرضون له، ولذا كان يبدو علي بعض ردودهم وتعاملاتهم مع الصحافة شيئاً من التوجس والحدة ... وقد أليت علي نفسي من يومها أن أكون بقلمي الضعيف بين قافلة المناصرين لهم في مواجهة ما يتعرضون له من حملات وافتراءات ظالمة □  
وما حدث مع الشيخ الشعراوي تكرر مع عدد كبير من رجال الدعوة والفكر والسياسة علي امتداد مسيرتي الصحفية مع اختلاف المواقف والقضايا والظروف □

وبعد ....

ماذا عن الشيخ محفوظ نحاح والرئيس محمد مرسي؟  
في مقال قادم إن شاء الله .

مدير تحرير جريدة الشعب المصرية ومجلة المجتمع الكويتية - سابقاً